

الفرق بين (يفعلون) و(يعملون) و(يصنعون)

أولاً: (يفعلون):

(فَعَلَ) ينسب إلى الكائنات الحية، والجماد أيضاً.

سواءً كان (بعلم، أو بدونه) (بإجادة أو بدونها).

وهو لا يشعر بامتداد طويل في الزمن للإنجاز والتحقق، ولا بالتكرار.

نعم ربما دلّ على ذلك من خلال بعض القرائن، كقولك (كان فلان يفعل كذا) فالجملة هنا تدل على تكرره قيامه بذلك.

قال الله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)، (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)، (وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ)، (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

ثانياً: (يعملون):

(عَمِلَ) ينسب إلى الكائنات الحيّة، ويشترط أن يكون بقصد وإرادة منه، فلا يقال للجماد (عَمِلَ).

وهو يشعر بامتداد في الزمن للتحقق والإنجاز، وربما يدل على التكرار والاستمرار عليه أيضًا.

تقول (فلان يعمل الطين خرفًا) لأنه يقوم بذلك عن قصد، ويستغرق وقتًا ممتدًا من الزمن للإنجاز والتحقق، وربما دلّ على تكرار قيامه بذلك.

ومنه قوله تعالى (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِرْفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا)، (أَوْلِمَّ يَرْوَاهُ أَنْزَالًا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ مَا عَمِلْتُمْ آيَاتٍ يَبْذَرُونَ نَسِيمًا).

ثالثًا: إضافة هامة جدًا:

أ- كثيرًا ما يستعمل (الفعل) في مقابل (القول)، فلا تدخل (الأقوال) في (الأفعال) عندئذ. أما (العمل) فيشمل الأمرين معًا (الأقوال والأفعال) إذ ما يقوله الإنسان يندرج تحت (عمله).

وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ° لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ [] أَنْ تَقُولُوا ° مَا لَا تَفْعَلُونَ) هنا نلاحظ أن (الفعل) في مقابل (القول).

ولكن في بعض الاستعمالات الأخرى يكون (ما يفعله الإنسان) بمعنى ما يصدر منه، فالكلام أيضًا (فعل) بهذا المعنى، وكذلك ما ينوي القيام به.

ب- (الفعل) إيجاد أمر في الخارج. فلا يشمل (الامتناع عن الإيجاد والإحداث)، كما لا يشمل (النية القلبية والتفكير والظنون وأمثاله).

أما (العمل) فهو يشمل (الإيجاد في الخارج+ الامتناع عن الإيجاد في الخارج+ النية والتفكير وأمثالها)، قال عز وجل (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ).^١

ج- (النوم والتنفس وأمثالها) تعد من (أفعال الإنسان)، ولا تعد من (أعماله)، ولعل السبب في ذلك ما تقدم آنفًا.

رابعًا: (يصنعون):

(صَنَعَ) لا ينسب إلا إلى العاقل فقط، وبشرط الإتيان والإحكام، سواء كان ذلك خيرًا أو شرًا.

ومنه قوله تعالى (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّبَّابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)، (وَأَصْنَعِ الْفُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)، (وَلِتُصْنَعَ عِلْمِي)، (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا).

و(الصنع) يأتي أحيانًا بمعنى الإيجاد بعد أن لم يكن، أي بمعنى إحداث أمر جديد لا سابقة له. ولذا يقال (هو الصانع)، ومنه قوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ أَنْ يَضَعِ الْأَسْمَاءَ لِشَيْءٍ لَمَّا خَلَّاهُ مِنَ الْيَتِيمِ إِذْ قَالَ لَهُ آدَمُ اسْمُكَ لِأَنْتَ الْإِنْسَانُ الْأَعْرَابِيُّ لَقَالَ الْإِنْسَانُ أَحْسَنُ مِمَّا لَمْ يَأْتِكَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْأَعْيُنَ أَيْنَ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيِّنَاتِهِمُ الْعُودَ الْأَوْثَانَ وَالذَّبَابَ وَالسُّمَّ وَالْجِلْدَ الْهَارِ)، (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا يَهُودُ نَحْنُ أَحْسَنُ مِمَّا لَمْ يَأْتِكَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْأَعْيُنَ أَيْنَ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْمُبْرِئُونَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْأَعْيُنَ أَيْنَ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْمُبْرِئُونَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْأَعْيُنَ أَيْنَ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْمُبْرِئُونَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْأَعْيُنَ أَيْنَ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

(لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ).

خامسًا: تذكير بقاعدة هامة جدًا:

القاعدة: (إثبات شيء، لا ينفي ما عداه).

مثال: إذا قلنا (سيلقى الإنسان نتائج أفعاله).

هذه الجملة لا تدل على أنه فقط فقط سيلقى نتائج أفعاله، ولن يلقي نتائج أعماله أو أقواله.

وعندما يقول □ تعالى (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فلا يدل ذلك على أن □ علم □ تعالى مختص فقط بما (نفع)، وقال سبحانه (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

سادسًا: نماذج من الآيات القرآنية:

1- قال □ سبحانه (وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ) ولم يقل (فعلوا الصالحات) باعتبار أن دأبهم ذلك، بحيث يتكرر ويكون عادة لهم.

2- قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

ولم يقل (اعملوا الخير) لماذا؟

قيل: لأن المطلوب هو المبادرة والمشاركة إلى الخير، فلا يكون هناك امتداد زمني في التحقق والإنجاز، كما قال سبحانه: (فَاسْتَدِيقُوا ° الْخَيْرَاتِ).

وربما يكون السبب أن المطلوب هو (إيجاد الخير في الخارج والواقع) ولذلك اختار كلمة (افعلوا) كما تقدم في فقرة (ثالثًا).

3- (وَالَّذِينَ هُمْ ° لِزَكَاةٍ ° فَاعِلُونَ) ولم يقل (عاملون)، لأن إخراج الزكاة لا يستغرق وقتًا طويلًا لإنجازه، فلا يقال عنه (عمل).

4- (وَوُفِّيَتْ ° كُلُّ ° نَفْسٍ ° مَّا ° عَمِلَتْ ° وَهُوَ ° أَعْلَمُ ° بِمَا ° يَفْعَلُونَ).

لاحظ (التوفية لما عمل)، (والعلم بما فعل).

قيل: لأن (الجزاء) يكون على الأعمال، وقد عرفت أن (العمل) يكون عن علم وقصد من الفاعل.

أما (علم الله تعالى) فهو يتعلق بكل ما يصدر من الإنسان، حتى وإن كان بدون قصد منه.

5- (وَتَرَى كَثِيرًا ° مِّنْهُمْ ° يُوَسِّرُونَ ° فِي ° الْإِثْمِ ° وَالْعُدْوَانَ ° وَأَكْلِهِمْ ° السُّحْتَ ° لَبِئْسَ ° مَا ° كَانُوا ° يَعْمَلُونَ (62) لَوْ لَّا ° يَنْهَاهُمْ ° الرَّبُّ ° بِنُورِهِ ° وَالْأَحْيَارُ ° عَن ° قَوْلِهِمْ ° الْإِثْمَ ° وَأَكْلِهِمْ ° السُّحْتَ ° لَبِئْسَ ° مَا ° كَانُوا ° يَصْنَعُونَ).

الآية الأولى تتحدث عن جمهور الناس، فقالت عنهم (يعملون).

أما الربانيون والأخبار فهم يقومون بذلك بإحكام وحكمة قوية، وربما يحدثون أفكارًا وأمرًا جديدة لا سابق لها، فقال عنهم (يصنعون).

6- (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

قيل: هم أحدثوا أمرًا جديدًا لم يكن رائجًا بينهم، ألا وهو (الكفر بأنعم الله) وتفننوا في ذلك، وأحكموا قبضتهم واستمروا عليه، حتى أصبح (صنعة لهم) فأنزل الله عليهم تلك العقوبة.

7- (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلُ مَسَاكِنُهُمْ يَوْمَ يَدْعُومَلُونَ).

(الحبط) لا يختص بما كانوا يصنعون، فقد ورد في آيات أخرى (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ).

يبقى سؤال، وهو لماذا في الآية الكريمة أتى (الحبط) لما صنعوا، وأتى (البطلان) لما كانوا يعملون؟

8- (وَإِنَّ عِلَالِيكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ).

فهل الملائكة لا يعلمون ولا يسجلون النوايا وما يدور في نفس الإنسان وتفكيره؟

الظاهر أن (تفعلون) في الآية الكريمة بمعنى (ما تقومون به، ويصدر منكم)، ويدل على ذلك أنهم يسجلون أيضًا ما يتلفظ به الإنسان (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ).

إذن: (الفعل) هنا بمعنى ما يصدر من الإنسان، سواءً كان في إيجاد أمر في الخارج، أو كلام يتلفظ به، أو من الأفعال القلبية. نعم وردت الروايات الشريفة بأنّ الإنسان لا يحاسب على نية السوء إذا لم يقم بالتنفيذ، وهذا بحث آخر نتعرض له لاحقاً إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين

11- شوّال المكرّم - 1440 هـ

الشيخ مرتضى الباشا